عودة إلى جدل الشعر والسحر (في عيّنات من شعرنا القديم)

د.عبد القادر لباشي *

الملخص:

اقترن السحر بالشعر في كثير من المواقف والأزمنة ، وخلال هذه الرحلة المضنية كان هناك تلاقح وتفاعل بين الظاهرتين؛ وقد استدعى الأمر قراءات وتقليبات وجدلا مستمرا عند النقاد والشعراء على حد سواء .

ستناقش هذه الصفحات قضية (السحر/الشعر) من منظور اجتماعي ، فني عبر رصد أهم اللحظات العميقة التي شكّلت مفهومات السحر باللغة الشعرية وفي إطار التلقي والتأثير؛ لذلك تحاول هذه المقالة النبش في تلك الآراء القائلة بعلاقة السحر والشعر ، ومدى ارتباطهما أو اختلافهما في مجالات بعينها .

كما تبحث في حضور الخطاب السحري وتجلياته في الخطاب الشعري من خلال عيّنة منتقاة من شعرنا العربي القديم .

Abstract

The magic and poetry are united in many positions and for several eras during all this hard journey it y'avait mutual influence, interaction, and complete solution between the two phenomena, which pushed to a series of lectures and a large continuous disputes among critics and even among poets These pages are intended discussion of magic relationship poetry in a perspective socio artistic through deep observation moments that shaped the concepts of magic in poetic language and as part of the reception and influence In this essay I'll try looking in the ideas that sparked the magic poetry relationship in order to know the extent of this relationship or difference in specific areas This test also aims to research into the magical discourse that occurs in the heart of poetic discourse through a set of texts types selected our ancient Arabic poetry

. نص المقال : غالبا ما يُنظر إلى السحر على أنه « ضرب من الفن تمارسه طبقة من الكهنة كانت تعالج الفلَك وعلوما أخرى غامضة ، وقد اكتسبت كلمة « سحر » دلالة أوسع فأضحت تعني المعتقدات وتطبيقاتها التي لا تنسجم مع طقوس العبادات المنظَّمة التي يؤمن أصحابها بقوة خارقة أعظم من الطبيعة . يوضح هذا الطقس الغامض السبب الذي جعل أمثال جيمس جورج فريزر James

* أستاذ محاضر ب ، قسم اللغة والأدب العربي ، جامعة البويرة

George Frazer, * ، يرون السحر مرحلة ممهّدة للعلم ، وهذا أيضا هو السبب الذي جعل مارسيل موس Mauss Marcel * يعدُّه ظاهرة دينيّة ، وهو يرى أن كلّ عرف غير منتم لعبادة منظمة ، كما أنه بغرابته وفي أقصى حالاته هو طقس محرّم ، وأن الفرق الجوهري بين الدين والسحر هو أن السحر يتم بمساعدة قوى ملازمة للطبيعة في حين أن الدين يفترض تعالي المقدس عن الطبيعة . يوجد فرق بين سحر تقليديّ أو غير مباشر يؤثر في الأرواح « باستثناء روح الإنسان» بطقس من الطقوس ، وبين سحر طبيعيّ أو مباشر مؤثر في الطبيعة بوساطة آلية ، معتمدا في الغالب لى قوانين التشابه » السحر المحاكاتي« أو التجاور» السحر المعدي « كما يتمّ التمييز بين سحر وقائي « خاصة من خلال الفتن« الغواية» والطلاسم وبين سحر نشط «عبر مراسم مقولبة وأخيرا واتباعا لهذه الغايات فهو يكون إما لخير أو شر ، فإنّ ثمة إما سحرا أبيض أو «سحر اليد البيضاء» ، وإما سحرا أسود « سحر اليد اليسرى» ... (1) .

إن في كل هذه التأملات التي تعمّقت عالم السحر وأجواءه وأصوله وشتى علاقاته تبرز لنا مدى تغلغل هذه المفاهيم في الذهنيّات ، ثم إن النفوذ الذي للسحر والسحرة قرّبهم من عوالم الدين فصاروا أشبه بمخلوقات مقدسة ، لكن هذا النفوذ تعززه علاقة تأثير تمارسها الكلمة الساحرة ، لذلك يشار حين الحديث عن السحر إلى أهمية الكلمة عامة والكلمة المنغمة خاصة ، ولا أعجب في أن السحر تحضر فيه كل الطقوس الشفوية تقريبا المعروفة الموجودة في الدين: عهود ، أمنيات دعوات أناشيد ... لذلك كان للسحر تاريخه الخاص وبتبسيط الأمر يمكن القول بأنه قد عرف مرحتين كبيرتين ألأولى مألوفة في الأعمال المكتوبة العادية التي تناولت المجتمعات البدائيّة والخرافة والطقوس والعادات ، مع تخصيص فصل أو ملحق للصيغ السحريّة: أي أنّ كل مؤلف عام عن السحر يحتوي قسما

* هو كما جاء في معجم Hachette 2012 ، 15 Paris 75905 cedex ، ص 651 ، عالم أعراق اسكتلندي 1941/1854 قارن بين الفلكلور والديانات. من أعماله «الفنن الذهبي» الفلكلور في كتاب العهد القديم» .

* هو كما جاء في معجم Hachette 2012 ، ص 1013 ، مادة maxim: عالم اجتماع وأعراق فرنسيّ 1950/1872 ابن أخ دركايم وتلميذه ، وهو صاحب « مقالة في الهبة: شكل عتيق في التبادل 1925 .

(1) René ALLEAU, Roger BASTIDE, MAGIE **Encyclopædia Universalis** [en ligne], consulté le 8 octobre 2015. URL : http://www.universalis.fr/encyclopedie/magie/

يعالج الكلمة السحرية.. »[1] .

ومن الواضح أن الكلمة السحرية هي النقطة المفصلية التي بقدر ما تفصل أحدهما عن الآخر فهي تربط كل طرف بالطرف الآخر: ذلك أن للشاعر مقصدية تأثيريّة يريد إنجازها انطلاقا مما يراه من غاية تأثيرية مثلى يحققها السحر ، لذلك فهو حتى وإن نفى العنصر السحري عن ذاته وعن شعره ، إلا أنه بشكل عملي يظل شديد الاتصال بتلك الغاية الإيهامية التي يحققها السحر بأبعاد مختلفة

ولكي تتّضح تلك العلاقة التي حدثت بين السّحر والشعر ، أيهما سبقَ الآخر وتحلّى بتأثيراته نغماً وإيقاعاً وجاذبيَّة سحريّة ، فإنه يتحتَّم علينا عملياً وموضوعياً أن نستأنسَ بمنجزاتِ علوم ومعارفٍ أخرى كعلم الاجتماع الأدبيّ ، والإناسة الثّقافية مثلاً ، حينها ندرك أن تشكُّل مفهوم الشّعر بالسحر في ذهن الشاعر العربيّ القديم كانت لهُ مُبرراته ونوازعهُ حينَذاك؛ فالنَّظرة الأولَى للشّعر كانَ دافعها اجتماعياً بالأساس ، تجلَّى في صورة إيجادِ آلياتٍ تمكِّنُه من الدِّفاعِ عن النَّفس من أجْلِ البقاء بالمفهوم الوجوديّ ، وقد تجسَّد في فعلِ محاكاةِ الطّبيعة (أقوَى ما واجهَ البدائي) وكانَ الاهتمامُ بالقوى الخفيّة والطُّقوسَ وعوالمِ الغيْب المتنوِّعة نوعاً من المحاكاة والتَّماثل مع الطبيعة أساساً ، ولم يكنْ المقصودُ إنجازاً إبداعياً ، فنياً خالصاً ، وبالتَّالي « فإنَّ الغرضَ من النظرةِ السّحريّة ، ومن النَّظرة الفنيّة كانَ واحداً في الحياة البدائيِّة »[2] .

وبذلك يمكن القول إن الشعر قد نظر إليه على أساس كونه قوة من قوى النفس البشرية التي بها يثبت الإنسان وجوده ويحافظ على بقائه . ويمكن القول أيضا إن الفرق بينهما في مصادر هذه القوة: فإذا كان الساحر يوهمنا بأنّ التأثير الذي يمارسه نابع من اتصال بالماورائي ، فإن الشاعر كان في أول الأمر أيضا يدعي الأمر ذاته ، لكن مع تطور الوعي بالمعرفة والتحليل صار الشاعر موقنا بأنه يعبر عن تجربة ذات أبعاد إنسانية منبعا وتوجيها وتلقيًّا .

وقد بيّن القرآن الكريم جذور تلك الذهنية البدائية التي كان يتداخل فيها؛ ما هو أرضي بما هو ما ورائي ، من خلال وصف العقليّة الجاهلية التي كانت تربط الصلة قوية بين الشعر والسحر ، حين ذكر اتهامين متصلين ببعضهما اتصالا وثيقا وجههما الجاهليون للنبي صلى الله عليه وسلم هما الشعر والسحر: أما الشعر

(1) Tzvetan Todorov, Le Discours de la magie, 'article',L'Homme, Année 1973 ,Volume 13, N4, p 38

(2) عبد المنعم تليمة ، مقدمة في نظرية الأدب ، دار العودة ، بيروت ، ط3 ، 1983 ، ص 32.

فكامن في حلاوة القول وطلاوته ، وأما السحر ففي الأثر الذي كان القرآن الكريم يتركه في نفوس الناس حين يستمعون له وبه يستمتعون ، فيؤمنون . قال تعالى : « **ومَا عَلمْنَاهُ الشِّعرَ ومَا ينْبغِي لهُ** »(1) وقولِه « **فَقَالَ الَّذين كفرُوا منهم إنْ هَذا إلاَّ سحرٌ مُبين** »(2) .

فلا عجب بعد ذلك إذن أن ينهى سادة قريش الناس عن الاستماع له ولا عجب في أن يؤمروا باللغو فيه أي مقابلته مقابلة عبثيّة بعيدا عن كلّ جد ، قال تعالى: وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون « * ومن المفسّرين من رأى بأنّ القصد باللغو فيه اللغط والصياح ، (3) وفي ذلك خوف لدى المشركين من المحاورة والنقاش وعجز عن مقارعة الحجة بالحجة .

وإذ رجعنا إلى تراثنا العربي النقدي منه والشعري لوجدنا أن ثمّة أمور كثيرة ترسّخت في مفهومِنا المتوارَث للقصيدةِ العربية قبلَ الإسلام جرتنا إلى القول بأن غرضَ الهجاء كان له دورٌ وثيقٌ بفن السحر ، « ويُخيَّل إلينا أن غرض الهجاء (من خلال أبياتٍ بعينِها ، لعدم انفراد القصيدةِ الجاهلية ـ في الأغلب الأعم ـ بغرض مستقل) أوضح تلك الأغراض وأكثرُها صلةً بالسحر »(4) . والأمثلة عديدةٌ عن الهجاء وبدايته التي اقترنَتْ بفنِّ السّحر ، وأنّه في أصْله سحرٌ أو لعنةٌ . إذْ « بدأَ ... طقساً سحريًا ، وممارسةً قائمةً بذاتها ، يُرَاد منها إلحاقُ الضَّرر والأذى بالعدوّ المهجو »(5) .

تقولُ الأخبارُ إنَّ العرب كانت تخافُ بشدَّة هِجاءِ الشُّعراء ، ويُروَى أَنَّهم كانوا يَجمعون المالَ لَلحُطيئة تجنُّبا لهجائه(6) ، فالشاعر ـ في الغالب ـ يعمد إلى كلماتٍ تُصيب من يُخاطبهم ، فهذا زهيرٌ يُلوّح بتلك اللَّعنات ، ليُثيرَ الرَّهبة في نفوسِ من يَقصدهم ، يتوعَّد الحارثَ بن زرقاءَ الأسْديّ :

ليأتيَنكَ منّي منطقٌ قذعٌكما دنَّس القُبْطيَّةَ الوَدَكُ(7) ، ولعلّ ممَّا يُرسِّخ هذه

(1) سورة يس ، الآية:69.
(2) سورة المائدة ، الآية 110 .
* سورة فصّلت ، الآية: 26
(3) المحلي والسيوطي ، تفسير الجلالين ، مراجعة وتدقيق مروان سوار ، بيروت ، 1998 ، ص 497 .
(4) أحمد إسماعيل النعيميّ ، الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام ، دار سينا للنشر ، القاهرة ، ط1 ، 1995 ، ص69.
(5) علي البطل ، الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري ، دراسة في أصولها وتطورها دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط2 ، 1981 ، ص 192.
(6) أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، طبعة دار الثقافة ، بيروت (د ، ت) ص 2 / 156.
(7) زهير بن أبي سلمى ، شرحه وقدمه علي حسن فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1988 ، ط1 ، ص

القناعةَ نوع من الطُّقوس والمُمارسات التي يؤديها الشاعر الهَجَّاءُ ومنها« أنَّ الشاعر كانَ إذَا أرادَ الهِجاء لبِس حُلَّة وحلَّق شَعر رأسه إلا ذُؤابتين ، ودَهن أحدَ شقّي رأسه ، وانتعلَ نعلاً واحداً »(1) .

وممَّا سادَ في ذهنهم أيضًا أن « تلكَ الأبياتِ الهجائيّة التي كان شعراءُ العرب يتحدَّثون فيها بلاَ كللٍ عن القَوافِي التي تُصيب الهدف كسهامٍ أو رماحٍ . . . لم تكنْ مجازيةً كثيراً في عيُون العرب في مرحلةِ ما قبلَ الإسلام ، ففي نظَرهم كَانت للقوافِي قوةٌ مادية حقيقية »(2) .

من هذا المنطلقِ تبرزُ وظيفةُ الهجاء ، قولا يتحولُ ـ بحسب زعْمهم ـ إلى فعلٍ ماثلٍ للعيان ، به يحاربُون ، وعليه يتوكَّلون ، إذْ يُجاهرون بامتلاكه ، عساه ينالُ من أعدائهم ، ويقهرهم:

صقعتك بالغر الأَوابِد صقْعَةً خضعت لها فالقلب منَّا جريض(3)

تدفعُنا هذه الأمثلةُ وغيرها إلى التسليم بفرضية قائمة على أنّ غرض الهجاء عُدَّ ضرباً من ضُروب السّحر ، وأنّ الشاعر الهجَّاء قد تقمَّص شخصية الساحر ، وبحسْبه فإن النّاس ما فتئت تنظرُ إليه نظرةً تقديس ورهبنة ، لاعتقادهم بأنَّه ـ أثناء هجائه ـ أقربُ إلى السَّاحر من أيِّ شخصيةٍ أخرى .

ويمكن القولُ من خلال تلكَ العلاقةِ الوطيدة بين الشّعر والسّحر ـ كما تصورها العرب ـ إنّ الغاية من قول الشعر ـ وقتها ـ تخدمُ العملَ السَّحري الذي آمن به البدائيُّ « فلا بدَّ أن يكونَ الغرضُ الذي قصَد إليهِ الشِّعرُ في الأصل ، ما دامَ لم يكنْ مقصوداً منه مجردُ المسامرة ، هو الغرض من جميعِ فنِّ القول عندَ البدائيين ، وهو تشجيعُ العملِ السِّحري »(4) . فقد اتخذ الشعراء شعرهم سحراً ، وباتَ في خلدهم أنَّ الكلمة تؤدي وظيفةَ التَّعزيم والتَّعويذة .

وفي تلك المَرحلة ، كان للشّاعر دورٌ عظيمٌ في ترجمة الكَلام باعتبارهِ القوّة السّحرية التي تُغيِّر الأحوال والأشياء ، فقد عد الشعر سلاحاً خطراً بَيْن يديْ من

82

(1) الشريف المرتضى(علي بن الحسين)أمالي المرتضى(عزر الفوائد ودرر القلائد) تحقيق محمد بن آبي الفضل ، دار إحياء الكتب العلمية ، القاهرة ، 1954 ، ص 189.

(2) ادموند دوتي ، السحر والدين في إفريقيا الشمالية ، ترجمة فريد الزاهي ، منشورات مرسم ، الرباط ، 2008 ، ص 82.

(3) عبيد بن الأبرص ، الديوان ، تحقيق كرم البستاني ، بيروت ، 1964 ، ص 103.

(4) كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ترجمة عبد الحليم النجار وآخرين ، دار المعارف ـ مصر ، ط 4 ، 1959 ، ص207

يملكون[1] ، وهو في اعتقادٍ عارفيه « سلاح لا يقلُّ قدرةً في الفتْك عن السّيف والسِّنان ، ولذلك كان العربُ يتَّقون حَامليه »[2].

ويذكُر صَاحب الأغاني أنَّ امرأةً جاءتْ إلى الشَّاعر ربيعة الرَّقي تطلبُ كتاباً لبنتِ مولاتِها المحمومة ، فقال: اكتبْ لها يا أَبَا بِشْر هذه العوذة:

تفُو تفُو باسم إلهي الذي لا يعرضِ السقم لمنِ قد شَفَى
أعِيذ مولاتِي ومولاتَها وابنتها بعوذة المصطفى
من شرّ ما يعرِض من عِلة في الصبح والليل إذا أسْدفا [3]

تنقلُ إلينا هَذه الأبيات ثقافةً ترَّسختْ في تَصوُّرات الشَّاعر القديم ، واقتناعَاته بعالمٍ يَشفِي ، فهو يؤكّد وفقَ هذه المعاني فعَّاليةِ ما سمَّاه « الكتاب »(المقصودُ هنا الشعر) ، وما يَحتويه مِن أدعيةٍ وأوْراد تُشبِه ما كان يحدث في المُمارسات الطَّقسية والسِّحرية . والَواضح أنَّ الشّاعر يصرح تصريحاً مُباشراً ، وفي دَاخل الظَّاهرة الشَّعرية بأنَّ الشَّعر سحرٌ :(اكتبْ لها عوذةً / وأمها بعوذةِ المصطفى) ، وهو مفهومٌ غايةٍ في الأَهمية ، وصادرٌ عن معرفةٍ بماهيةِ الشّعر وأَجوائِه . ولن نغادرَ هذه المحاكَاة التي يتماهى فيها الشّعر مع السِّحر في إنتاجِ جملةٍ من التَّأثيرات ، والسَّعي إلى تَغييرِ الأَشكال والواقِعات التي لا تقدر اليدُ البَشرية عليها دون أنْ نتمثَّل بقولِ بشَّارٍ متغزلا:

ولما فارقتنا « أم بكر » وشطّت غربةً بعد اكتئاب
وبِتُّ بحاجةٍ في الصَّدْر منْ هاتَحرَّقُ نارُها بيْن الْحجاب
خططتُ مثالها وجلستُ أشكو إلَيْها ما لَقِيتُ علَى انْتِحَابِ
أكلِّمُ لَمْحَةً في التُّرْب مِنْها كلام المستجير من العذاب
كأَنِّي عِنْدَها أشْكُو إلَيْها همومي والشَّكاةُ إلى التراب[4]

هنا يستعيرُ بشّار مِن السّحر إجراءاته ، ولوْ أنَّها ليست واضحة لقارئ عبَّاسيٍّ لهُ ثقافته الجديدة المُدينة لمبدإِ السّحر أساساً ، وعلى ما يبدُو ـ من خلالَ هذه اللوحة الشِّعرية ـ فإنَّنا أمام تعزيمةٍ مجسَّدة وماثلةً أمامنا فعلاً: خططت

(1) دزيرة سقال ، العرب في العصر الجاهلي ، دار الصداقة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1995 ، ص137 .
(2) مفيد قميحة ، المعلقات العشر ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 1991، ص 23 .
(3) الأصفهاني ، الأغاني ، ص 199.
(4) بشار بن برد ، الديوان ، قرأه وقدم له: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط2 ، 2006 ، ص81.

مثالها / جلست أشكو/ أكلم لمحة ، وهي أقْصى ما كان يَصبُو إليه الشَّاعر طمعاً في تحقيق مُبتغًى بعيدَ المنَال تُجاه محبوبة تختبئ وراء السَّراب وخلفَ الأوهام ؛ فالوصول إليها لا يكونُ إلَّا بسحرٍ يُشاكل المسحورَ ويحاكيه وصفاً أو ترميزاً من لدن السَّاحر ، وهو المبدأُ الذي دأَب عليهِ بعضُ الشُّعراء وبشَّار بن برد واحدٌ منهم .

فالأدلّة كثيرةٌ على علاقةِ الشِّعر بالسّحر ليس في النظر إلى الشّعر لدى العربي الجاهلي ، ولكن ليس هذا مكان الشَّرح والتعمُّق ، وحسبنا إنَّنا حَاولنا توضيح وجوه هذه العلاقة ، ودوافعَها وأشكالَها وغاياتِها بمَا يستجيبُ لطبيعة العملين الشِّعري والسِّحري في المقام الأول ، إننا لا نكادُ نُفرِّق بين الظَّاهرتين السِّحرية والشِّعرية ، فهناك بعضُ النُّصوص تكاد تُلغي الحواجزَ بينهما ، فكلاهما يشربُ من إناءٍ واحد ، وينهل من مَعين واحد ، ولو أُتيح لنا تأمل السِّياقات الحافة بكلا العملَيْن الشّعري والسّحري ، أداءً ووظيفةً ، وغايةً ، نستنتج ما يلي:

ـ أنّ الشاعر تزيَّ بزيّ الكاهن والسّاحر حين كان يُنشِد الأشعارَ في بعض الاحتفالاتِ المعيَّنة ، وذلك « لأنه كان يشعر بقوةِ شعره السّحري »[1].

ــ يبدو إنّ السّاحر والشّاعرــ في أداء وظيفتهما ـ كانا يسْتقيان المعرفةَ والإلهامَ من الأصْل عينه ، فالسّاحر يتلقى معلوماته وقدرته السحرية من تلك الآلهةِ والجنّ والشَّياطين التي كانت نفسها مصدرَ الكاهن والشَّاعر في أداءِ كل منهما وظيفته . فكلاهما؛ أي « الشاعر والساحر يعتمدُ على مصدرٍ خفيٍّ وإلهامٍ بعيدٍ »[2] .

ـ يضطلع كلاً من السَّاحر والشَّاعر بخاصية التَّأثير في الغير « إذْ يبدُو السِّحر أداةً من أدوات فرض الإرادةِ ، والرغبةِ في إخضاع الظَّواهر والأشياءِ والأشخاص ، وهو يذكّر بالشّعر في مُختلف هذه الجزئيات »[3] . وقد تكلَّم لسان الدّين ابن الخطيب عن هذه القُوَّة التَّأثيرية التي يمتلكُها السِّحر والشعر بالقول: إن« العلاقة بين السّحر والشّعر كامنةٌ في القِوى التّأثيرية ، وهي قِوى يظهر تأثيرها في السُّلوك الإنسانيِّ بعد أن تحدِثَها أثراً في التَّصور والمفهوم »[4].

---

(1) قصي الحسين ، شعر الجاهلية وشعراؤها ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس لبنان ، ط1 ، 2006 ، ص 65.

(2) عفت الشرقاوي ، دروس ونصوص في قضايا الأدب الجاهلي ، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1979 ، ص127.

(3) مبروك المناعي ، الشعر والسحر ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ط1 ، 2004 ، ص18.

(4) ابن عبد الله السلماني لسان الدين بن الخطيب ، السحر والشعر ، تحقيق ودراسة خالد الجبر وعاطف كنعان ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة البتراء ، الأردن ، دار جرير للنشر والتوزيع ، 2009 ، ص 22.

ارتبط السّحر والشّعر على حد سواء بقوةِ الكلمة وفعْلها في نفوسِ مُتلقيها ، وقد أخذت الكلمةُ نصيبَها من الاهتمام والعنايةِ في خطاب القدماء ، وفي ذلك أشار أبو حيَّان التوحيديّ إلى مزيَّة الكلام في الشّعر وأهميته ، وهي المزيةُ ذاتُها تنطبق على الخطاب السِّحري ، فبالنّسبة للعرب ، « كان ولوعُهم بالكلام أشدَّ من ولوعهم بكلِّ شيءٍ ، وكلُّ ولوعٍ كان لهم بالكلام ، فإنَّما كان بالكلام »(1) .

وكانت الكلمةُ أيضاً « تُستخدَم للإشارة إلى عملياتِ التَّوهّم وما يتَّصلُ بها من تشكّل الأوهام الكاذبة في النَّفس ، بفعلِ مخادعةِ الأشخاص أو بتأثيرِ الخوْفِ أو ما أشبهَ ذلك »(2) ، واعتبر ابن طبا طبا أنَ الشّعر أنفذُ من نفثِ السّحر(3) .

ـ الشعر عملٌ يختصُّ بالفرد دون الجماعة ، وكذلك السّحر بخلافِ الدّين مثلاً الذي يمارَس ضمن دائرة جماعية منظَّمة .

ــ يقترنُ الشّعر بالسّحر أيضاً في أداءِ الطّقسِ الشّعري والسّحري ، في التّمويه والتخيّيل والختل وقدْ قيلَ فعلاً: إنَّه لئنْ كان كلُ سحرٍ خيالاً ، فإنَّ كلَّ عمليةِ تخيّيل إنَّما هي عمليةٌ سحريّة(4) . والشّاعر في نظَر الجرجَاني هو الّذي « يقولُ قولاً يخدعُ فيه نفسَه ، ويُريها ما لا تَرى »(5) .

ــ يطمح الشاعر إلى تحقيق أغلى الأماني ، و تحقق النبوءات ، فهو كالباحث عن الحرية والمطلق بالقول الشعري ، أو فعل الكتابة الدال ، وكذلك الساحر يحاول تحدي واختراق الفيزياء الطبيعية بالعمل السحري(6) ، وقدرته وتقنياته الطقسية المعهودة ، فكلاهما يمارس القوة ذاتها ، الموسومة تارة بالدهشة ، وبالفتنة تارة أخرى .

وفي الأخير فللستُ أهدفُ ـ في هذا المقام ـ إلى تقديم عرْض شامل لتلكَ العلاقة التي شاعتْ وانتشرتْ في المؤلفات القديمَة منها والحديثة بيْن الشّعر

(1) أبو حيان التوحيدي ، مثالب الوزيرين ، تحقيق ابراهيم الكيلاني ، طبعة دار الفكر ، دمشق ، 1961 ، ص274.

(2) أحمد الطريسي ، النص الشعري بين الرؤية الإشارية والرؤية البيانية ، الدار المصرية السعودية ، القاهرة ، 2004 ، ص 49.

(3) محمد لطفي اليوسفي ، الشعر والشعرية (الفلاسفة والمفكرون العرب ما أنجزوه وما هفوا إليه) الدار العربية للكتاب ـ طرابلس ، تونس ، 1992 ، ص319.

4 J.a rony , la magie .paris .p .u .f .1950 .p 82.

(5) عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، تحقيق . محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة القاهرة ، 1976 ، ص 252.

(6) ينظر: خزعل الماجري ، العقل الشعري ، النايا للدراسات والنشر والتوزيع ، دمشق ، سرويا ، ط1 ، 2011 ، ص 296.

والسّحر ، فهذا يُمثِّل عبئاً كبيراً ، لا تكفيه هذه المقالة التي حَبرْتُها أصلاً ، لتكونَ نافذة تشرحُ أولى العلاقاتِ التي تشكَّلت بين الشّعر فنًّا تخيّليّاً جميلا ، والسّحر مظهرا تأثيريا ، حيَّر العقولَ ، وسرق القلوب أيضا ، وكيف أن السِّحر استفردَ به الشّعر ، ولَانَ له ، حتّى تمكّن منه ، وأصبح حالًّا فيه يكاد لا يُغادره أبدا .

قائمة المصادر والمراجع:

1. بشار بن برد ، الديوان ، قرأه وقدم له: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط2 ، 2006
2. زهير بن أبي سلمى ، شرحه وقدمه علي حسن فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1988 ، ص 82
3. عبيد بن الأبرص ، الديوان ، تحقيق كرم البستاني ، بيروت ، 1964 .
4. أحمد الطريسي ، النص الشعري بين الرؤية الإشارية والرؤية البيانية ، الدار المصرية السعودية ، القاهرة ، 2004
5. الشريف المرتضى (علي بن الحسين) أمالي المرتضى (عزر الفوائد ودرر القلائد) تحقيق محمد بن آبي الفضل ، دار احياء الكتب العلمية ، القاهرة ، 1954
6. عبد المنعم تليمة ، مقدمة في نظرية الأدب ، دار العودة ، بيروت ، ط3 ، 1983
7. ـ عفت الشرقاوي ، دروس ونصوص في قضايا الأدب الجاهلي ، دار النهضة العربية للنشر والطباعة ، بيروت ، 1979 .
8. كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ترجمة عبد الحليم نجار وآخرين ، دار المعارف ـ مصر ، دت
9. مبروك المناعي ، الشعر والسحر ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ط1 ، 2004 .
10. ابن عبد الله السلماني لسان الدين بن الخطيب ، السحر والشعر ، تحقيق ودراسة خالد الجبر وعاطف كنعان ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة البتراء ، الأردن ، دار جرير للنشر والتوزيع ، 2009
11. أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، طبعة دار الثقافة ، بيروت ، (د ، ت)
12. أبو حيان التوحيدي ، مثالب الوزيرين ، تحقيق ابراهيم الكيلاني ، طبعة دار الفكر ، دمشق ، 1961 .
13. أحمد إسماعيل النعيميّ ، الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام ، دار سينا للنشر ، ط1 ، 1995 .
14. ادموند دوتي ، السحر والدين في إفريقيا الشمالية ، ترجمة فريد الزاهي ، منشورات مرسم ، 2008 .
15. خزعل الماجري ، العقل الشعري ، النايا للدراسات والنشر والتوزيع ، دمشق ، سرويا ، ط1 ، 2011 .
16. دزيرة سقال ، العرب في العصر الجاهلي ، دار الصداقة العربية للطباعة والنشر ، لبنان ، ط1 ، 1995 ،
17. عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ت . محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة القاهرة ، 1976
18. علي البطل ، الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري ، دراسة في أصولها وتطورها دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط2 ، 1981 ،
19. قصي الحسين ، شعر الجاهلية وشعراؤها ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس لبنان ، ط1 ، 2006 .
20. المحلي والسيوطي ، تفسير الجلالين ، مراجعة وتدقيق مروان سوار ، دار الجيل بيروت ، 1418 ، 1998
21. محمد لطفي اليوسفي ، الشعر والشعرية (الفلاسفة والمفكرون العرب ما أنجزوه وما هفوا إليه) الدار العربية للكتاب ، طرابلس ـ تونس ، 1992 .
22. مفيد قميحة ، المعلقات العشر ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 1991

. مراجع أجنبية:

1. Tzvetan Todorov, Le Discours de la magie, 'article',L'Homme, Année 1973 ,Volume 13, N4,
2. J O Rony , la magie paris p u 1950

. المجلات الأجنبية:

1. L'Homme, Année 1973 ,Volume 13, N4

. المعاجم و الموسوعات الأجنبية:

2. Hachette 2012 ، dictionnaire Paris , 75905 cedex 15
3. **Encyclopædia Universalis** http://www . universalis . fr/encyclopedie/magie/